مؤتمر حول
علم النحو عند العرب

بتاريخ ٢٠ ـ ١٩٩٠/١١/٢١ انعقد في جامعة حيفا، بدعوة من قسم اللغة العربية وآدابها، مؤتمر دراسي حول موضوع **تاريخ دراسة النحو عند العرب**، اشترك فيه أساتذة متخصصون من الجامعات في اسرائيل والخارج. وفيما يلي نقدم عرضاً موجزاً لأهم ما دار من أبحاث في جلسات المؤتمر، آملين نشر بعض هذه الأبحاث كاملة في عدد قادم:

ميخائيل ج. كارتر (جامعة نيويورك):
الأساس الأخلاقي لعلم النحو العربي

أكد البروفسور كارتر أن النحو العربي، من حيث نشأته وتطبيقه، مرتبط أحكم الارتباط بالدين الإسلامي، وعلى هذا فثمة أمران مهمان ملفتان للنظر:

أولاً ـ الفكرة الأصلية لدى المسلمين القائلة بأن الكلام نوع من السلوك الاجتماعي، ولذلك لا يمكن الحكم عليه الا بالمقاييس الأخلاقية؛

وثانياً ـ ان العبارات الدالة على تصرف المسلم في أي مجال من مجالات أعماله تنحصر، بغضّ النظر عن مفردات قليلة، في مترادفات بمعنى «الطريق» و«المسلك». وأورد المحاضر بعض البيّنات من أدب القرن الثاني الهجري للتدليل على أن فكرة العلاقة بين اللغة والأخلاق كانت راسخة آنذاك، قياساً بالمبدأ الأرستطالي في مفهوم «الموضع» و«الحسن» و«القبيح» والخ. وبالنظر للكثرة الوفيرة من المصطلحات المترادفة بمعنى «الطريق» الواردة في علم النحو وفي العلوم الاسلامية عموماً، حاول كارتر تأويل الصراع بين النحويين والمنطقيين على أنه صراع بين الموقف التقليدي القائل بأن اللغة نوع من السلوك، وبين الموقف الإغريقي الذاهب الى أن اللغة نوع من التفكير. ومن هذا

المنطلق خلص الى القول بأن المصطلحات المستعملة على أكثر من مستوى علمي واحد، أو المشتركة بين مختلف العلوم، تؤكد الفرضية بأن العلوم لا يمكن دراستها دراسة صحيحة الا في نطاق الحضارات التي نشأت فيها.

كورنيلس [قيس] فرستيخ (جامعة نيماخن):

أقدم شهادة على مصطلح نحوي عربي

في مسألة الجذور التاريخية لنشأة الاصطلاح النحوي عند العرب، أشار المحاضر الى القاموس المتكامل للمصطلحات النحوية في كتاب سيبويه وكتاب **معاني القرآن** لمعاصره الكوفي أبي زكريا الفراء (أواخر القرن الثاني الهجري). ومن المقارنة بين الكتابين يتضح أن استعمال بعض المصطلحات لم يبلغ الدقة الفنية، ومنها ما لم تصدر عن مفاهيم علم النحو ولم تتميّز عن معاني الكلام الدارج. ومع ذلك، يشكل اصطلاح هذين الكتابين نظاماً شاملاً يعكس المستوى المتقدم من الوعي العلمي والتفكير اللغوي. وبعد استعراض نظريات الباحثين في الجذور التاريخية لبعض المصطلحات المنفردة، انتقل البروفسور فرستيخ الى النظر في أقدم تفسير للقرآن وفي ما بقي من ملاحظات المفسرين في أقدم مصنف متوفر لدينا للحديث النبوي. ففي دراسته لتفسير مقاتل بن سليمان، تبيّن له أن بعض المصطلحات التي يستعملها مقاتل استعمالاً غير مقيّد بقيود المعاني الفنية الخاصة، قد تشكل الأساس الذي نشأ عليه الاصطلاح النحوي فيما بعد. وهذا يؤكد الفرضية القائلة بأن الاعتناء بالنص القرآني كان الدافع الرئيسي لدراسة اللغة العربية دراسة علمية في القرن الهجري الأول. وقد قارن المحاضر اصطلاح مقاتل مع مصطلحات سفيان الثوري ومجاهد ثم مع مصطلحات عبد الرزاق الواردة في مصنفه، محاولاً دعم رأيه في أن قسماً من قاموس المصطلحات النحوية قد نشأ على أساس لغة غير فنية، وكذلك في إيضاح نشوء الاختلافات بين اصطلاح المذهبين النحويين القديمين: البصري والكوفي.

ناديه أنكلسكو (جامعة بخارست):

نظرية «العمل» كأداة في تصنيف أقسام الكلام

قام النحاة العرب ببناء منهجهم العلمي في وصف نظام اللغة العربية معتمدين على تقسيم سيبويه الثلاثي للكلام ـ الاسم والفعل والحرف ـ الخالي من تعريفات علمية؛ فجاءوا بتعريفات شتى، منها ما يعود الى معاني الأقسام ومنها ما أساسه مواضع هذه

الأقسام في الجملة. وقد كان اعتمادهم على المعاني متابعاً لمنهج أرسطو في تعريف أقسام الكلام. أما التعاريف المتأخرة لكل قسم، سواء تلك التي تعتمد على المعنى، أو تلك التي تعتمد على قرينة وروده في الجملة، فلم تكن الا رداً لبعض النحاة على تعريف معنوي غير مرض. ومن التعاريف المستندة الى القرينة ذلك المتعلق بذكر «العمل»، فهو تعريف «لفظي» محض لا دخل للمعنى فيه و يشمل الأوصاف النحوية وعلامات الإعراب. وقد أشار العكبري (المتوفى عام ١٢٢٠ م) الى أن تعريف الاسم بأنه «ما أستحق الإعراب في أول وضعه» قد يدخلنا في دائرة مغلقة: اذ أن الاسم يصبح اسماً باعرابه، أما اعرابه فمنوط باسميته! الا أن العكبري فسّر ذلك بقوله ان اسمية الاسم تعود الى خضوعه للعمل لا الى إعرابه. وقد أثبت مؤخراً علم اللسانيات الحديث العلاقات المتبادلة بين الأقسام الثلاثة للكلمات العربية (بمعناها القاموسي)، وبين نفس الأقسام بمعناها النحوي، أي باعتبار مختلف وظائفها في الجملة. كما أننا نرى النحاة يعرفون صنف النواسخ: «إنّ» و«كان» و«ظنّ» وما اليها، معتمدين على مفهوم «العمل»، أي عملها في الإسم والخبر. وعلى هذا، فجمع هذه الكلمات مع بعضها، بغض النظر عن انتمائها الأصلي الى حروف وأفعال متعدية وأفعال لازمة، يقدم دليلاً قاطعاً على أهمية «العمل» في تفكير النحاة حول تصنيف الكلام. ومن كل هذا استنتجت المحاضرة أن النظرية النحوية العربية لم تكن الا تفسيراً لظواهر اللغة وحقائقها، ذلك التفسير الذي ازداد دقة على مدى العصور.

يشاي بيلد (جامعة تل أبيب):

«العمل» و «الابتداء» في نظرية النحاة العرب

عندما طوّر النحاة العرب في القرون الوسطى نظريتهم حول «العوامل النحوية»، واجهتهم مشاكل خطيرة على الصعيد النظري، خاصة في معالجة التراكيب المبنية على الابتداء (وخبره) والتي تتلخص في أن «أ» هو «ب». فكانت نتيجة ذلك أنهم أوجدوا عدة مفاهيم نحوية أسموها بأسماء مصطلح عليها: فللتركيب «زيدٌ قائمٌ» أوجدوا مفهوم «العامل المعنوي» (مقابل «العامل اللفظي»)، وللتركيب «ظننتُ زيداً قائماً» معنى «نواسخ الابتداء»، وللتركيب «زيدٌ ظننتُ قائمٌ» ـ «الإلغاء»؛ كما ألزموا تركيب «ظننتُ لزيدٌ قائمٌ» مصطلح «التعليق». الا أن أكبر عقبة بالنسبة للنحاة تمثلت ببعض الأدوات مثل «لكن» و«إذ» و«إنما»، وهي المعروفة بـ «حروف الابتداء». ولم يجد

النحاة مناصاً من اللجوء الى مفاهيم قديمه من أيام سيبويه كادت تكون منسية، مثل «الإلغاء» و«الابتداء»، وذلك من خلال معالجتهم لتركيبي «لكنْ زيدٌ قائمٌ» و«لكنْ يقوم زيدٌ»، وكذلك من خلال محاولتهم إدخال هذين التركيبين في إطار نظرية العوامل. وقد أطلقوا على «لكنْ» اسم «الملغاة»، أي أنها غير كاملة، ثم اعتبروا تركيبي «زيدٌ قائمٌ» و«يقوم زيدٌ» (واللذين تتصدرهما «لكنْ») تركيبين «ابتدائيين»، لأنهما قادران على أن يكونا جملة مستقلة.

نفتالي كينبرغ (جامعة تل أبيب):

«العماد» عند الفراء في كتابه «معاني القرآن»

يطلق الفراء في تحليله للتراكيب النحوية اسم «العماد» على الضمير الوارد فيها. والتراكيب الأساسية ذات «العماد» ثلاثة:

أولاً- يأتي الضمير بين منصوبي «ظنّ» وأخواتها (بما فيها «ليت»)، وفي هذا التركيب لا محل للضمير من الإعراب، كما أنه يعمل في أي من الأسمين، و يعتبره الفراء «عماداً»، أي «دعامة» للإسم الأول، أما الإسم الثاني فعماده عادة أداة التعريف «أل»؛

ثانياً - يأتي الضمير في هذا التركيب بين اسم «كان» وخبرها المنصوب، ولا يعمل الضمير في أي من الإسمين كما لم يعمل في التركيب الأول؛

ثالثا - يلحق الضمير في هذا التركيب بعض الأدوات التي تدخل على المبتدأ والخبر، مثل «إنّ» و«إذا» الفجائية و«أما» و«واو» الحال و«ما» المشبهة بليس و«هل».

وبما أن الضمير أخذ يحل محل المبتدأ، جاز قلب تركيب الكلمات في الجملة التي تتبعه في نفس التركيب. و يتصف هذا الضمير بأنه لا يشير الى شخص أو شيء معيّن (وهو المعروف بـ «ضمير الشأن»). ولا يعتبر الفراء هذا الضمير عماداً في تراكيب أخرى، مثل الضمير الذي يتصدر جملة «هو الله أحد»، وبهذا يخالف رأي الكسائي. أما التراكيب ذات المبتدأ والخبر المرفوعين، فلم يعثر المحاضر لها على أمثلة من العماد في تحليل الفراء. ويخلص الى القول بأن دراسة مفهوم «العماد» توضح لنا أنه لا يطابق مفهوم «ضمير الفصل» وإن أطلقا أحياناً على نفس التراكيب كما هو الحال بالنسبة للعماد وضمير الشأن.

رافي طلمون (جامعة حيفا):

مصطلح «القلب» وأهميته في دراسة أوائل النحو العربي

رغم الاهتمام الذي يوليه دارسو تاريخ النحو العربي في عصور نشأته لكتاب سيبويه ولتفسير الفراء المعروف بـ «معاني القرآن»، هذا الاهتمام الذي يفوق الاهتمام بغيرهما من مصادر تلك العصور، إلا أن أحداً من الدارسين لم يتمكن حتى اليوم من ايجاد إثباتات تدل على أن أياً من هذين النحويين العظيمين كان واعياً لاجتهاد الآخر أو للمجهود العلمي المفصل في كتاب الآخر. وبشأن الصلة بين هذين الكتابين، اهتدى المحاضر أثناء دراسته لحملة سيبويه على «النحويين» في تحليل تركيب «مررتُ برجل معه الفرس صائدٍ/ صائداً ببأز» (باب ١١٢ من كتابه)، الى أن لهذا التحليل علامة وثيقة بتركيب «في الدار زيدٌ قائمٌ/ قائماً فيها» الذي يتناوله سيبويه في باب ١٣١، وهو نفس التركيب الذي يتعرض له الفراء في كتابه (ج ٣، ص ١٤٦). ومن خلال البحث يتضح أن الفراء كان متبعاً لمنهج «النحويين»، أما سيبويه فيعارضهم و ينقض بعض الأسس النظرية الجذرية في منهجهم النحوي التحليلي والذي يتلخص في استعمالهم لمصطلح «القلب». ووجه المحاضر اهتمامه الى مقارنة مفهوم «القلب» عند مجموعة «النحويين» في تحليل منصوب «حتى» (باب ٢٣٩) وما ذكر من استعمالهم له (في باب ١١٢).

إيلان إلدار (جامعة حيفا):

معنى مصطلح «الأصل» عند النحاة اليهود في القرون الوسطى

كان لعلم النحو العربي تأثير واسع في توجيه دراسات النحاة اليهود في اللغة العبرية طوال القرون الوسطى، وقد كان للمذهب البصري بالذات القدر الأكبر في هذا التأثير. ومن المعروف أن هذا التأثير لم يتقيد بالجانب النظري فحسب، بل شمل العديد من دقائق البحث النحوي أيضاً. ومع ذلك، فقد عمد علماء العبرية الى إدخال تغييرات كثيرة هامة خلال تطبيقهم للقواعد العربية بالنظر للفروق بين اللغتين. ومن أهم المفاهيم التي اقتبسها هؤلاء النحاة من علم النحو العربي، مفهوم «الأصل» الذي يعود لبحث تشكيل الكلمات تصريفاً واشتقاقاً؛ فبهذا المصطلح يصف النحوي إجراء أية عملية تتحول بواسطتها صيغة الكلمة الى صيغة أو صيغ أخرى متصلة بعضها ببعض. و يأتي مصطلح «الأصل» في كتب النحو العبري في القرون الوسطى على معنيين:

أولاً ـ يكون «الأصل» كلمة مستعملة في الكلام اعتبرها النحوي أساساً لغيرها؛ وهذا ما قال به سعديا بن يوسف الفيومي (ولد في فيوم عام ٨٨٢ وتوفي في بغداد عام ٩٤٢) في كتابه القيم «فصيح لغة العبرانيين» المشهور باسم «كتب اللغة»؛

ثانياً ـ يكون «الأصل» صيغة مقدرة غير مستعملة في اللغة افترض النحوي اشتقاق صيغة كلمة مستعملة منها؛ ومثل هذا المنهج الذي يمكن وصفه بالتجريد النحوي العالم الأندلسي أبو زكريا يحيى بن داود الملقب حيوج (ولد في فاس عام ٩٧٠ وتوفي في قرطبة عام ١٠١٠). ولا يخفى أن هذين العالمين قد لعبا دوراً مركزياً في تاريخ علم النحو العبري، فكتاب سعديا يعتبر أول كتاب في النحو خال من آثار علم القراءات والتجويد الذي تتسم به مؤلفات من سبقه في اللغة العبرية. أما كتاب حيوج فيتميز بكونه أقدم الكتب النحوية العبرية التي تبحث في أصول النحو نظرياً، ومن بين هذه الأصول مبدأ ثلاثية جذر الفعل العبري الذي اكتشفه المؤلف نفسه.

* * *

هذا وقد ناقش المؤتمر أيضاً دراسات الأساتذة: جدعون غولدنبرغ (الجامعة العبرية في القدس) حول **حروف المدّ في نظرية النحاة العرب**؛ آرييه ليفين (الجامعة العبرية ايضاً) حول **كلام العرب كمصدر في التحليل النحوي عند سيبويه**؛ كينغا ديفياني (الكلية الاقتصادية في بودبست) حول **جمل الشرط عند النحاة في القرن الثاني وحتى الرابع الهجري**؛ جيفري خان (جامعة كمبرج) حول **طرق نسخ الحروف من الخط العبري للخط العربي في القرون الوسطى.**